المرأة البغدادية ودورها بالتعليم في العصر العباسي حتى العصر السلجوقي

The Baghdadi Woman and Her Role in Education from the Abbasid Era to the Seljuk Period

أ. د. حنان رضا عبدالرحمن أ.د. ليث شاكر محمود

Prof. Dr. Hanan Ridha Abdulrahman Prof. Dr. Laith Shakir Mahmoud

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

Al-Mustansiriyah University – College of Arts – Department of History

dr.hanann@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص البحث :

لابد من القول بأن العقل الإسلامي قد تألق معرفياً باستيعاب العلوم النقلية, والابداع والتفاعل مع العلوم العقلية المشتركة مع ثقافات الحضارات الأخرى... فأنشات في العصر العباسي ببغداد العديد من المدارس حتى أخذ بعضها بالتخصص في أحدى العلوم والمعارف، وأخذت تتسع فأضحت بمثابة جامعات علمية تعقد فيها مجالس العلم، وتضم أكبر المكتبات ودور الحكمة والترجمة والتأليف، حتى أتسعت دائرتها، وبرزت ظاهرة التخصص في العلوم والمراكز التعليمية في بغداد (دار السلام)، والتي شكلت تلك المؤسسات التعليمية الدعائم التي يرتكز عليها النظام التعليمي والتربوي في العراق آنذاك، مما فسح المجال ... واسعاً لتطور المناهج التربوية والتعليمية فيه.

وتنقسم دراستنا لثلاث مباحث مهمة يركز المبحث الأول: على رعاية الخلفاء العباسيين للحركة التعليمية ... وأفرد المبحث الثاني: للتركيز على أبرز الشروط الواجب توفرها في المؤدب والمعلم ... وأختص المبحث الثالث: بدراسة دور المرأة البغدادية بالتعليم وأبرز مجالسها العلمية في العصر العباسي.

الكلمات المفتاحية : (التعليم–المرأة–العصر السلجوقي–العصر العباسي–بغداد)

Abstract

It must be said that the Islamic mind has shone cognitively by absorbing the transmitted sciences, creativity and interaction with the rational sciences shared with the cultures of other civilizations... So many schools were established in the Abbasid era in Baghdad, some of which specialized in one of the sciences and knowledge, and they began to expand and became scientific universities in which scientific councils were held, and included the largest libraries and houses of wisdom, translation and authorship, until their circle expanded, and the phenomenon of specialization in sciences and educational centers emerged in Baghdad (Dar Al-Salam), which formed those educational institutions the pillars on which the educational and pedagogical system in Iraq was based at that time, which opened the way... wide for the development of educational and pedagogical curricula in it.

Our study is divided into three important topics. The first topic focuses on the Abbasid caliphs' care for the educational movement... The second topic was devoted to focusing on the most prominent conditions that must be met in the educator and teacher... The third topic was devoted to studying the role of women in education and their most prominent scientific councils in the Abbasid era.

Keywords: Education – Women – Seljuk Period – Abbasid Era – Baghdad

مقدمة :

يعود الفضل للعرب في تحقيق منجزات حضارية كثيرة اسهمت وبشكل فعال في تطور البشرية فكريا وتقنيا، ففي العراق القديم، وعلى وجه الخصوص حيث كان مولد اقدم وسيلة للتدوين في بلاد سومر والتي عرفت بين المختصين بالكتابة المسمارية، مما ساعد على حفظ تراث العرب ومنجزاتهم على مر العصور واستمرت المعرفة بالقراءة والكتابة بين القبائل العربية في عصر ما قبل الاسلام (طلس، 2021، صفحة 17) وبشكلها المحدود، على الرغم من ان ظروفهم قد فرضت عليهم ان يتجهوا للعلوم العملية التي تتوقف حياتهم عليها كالعرافة وعلم النجوم والانواء وبعض العلوم البدائية عن الطب في حين ابدعوا في العلوم اللسانية كالشعر والنثر والخطابة.

وبعد ظهور الدين الاسلامي، اصبح للتعليم شان ملحوظ بعد ان توثقت صلته بالدين الاسلامي، فقال تعالى:

((هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آيته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلل مبين)) (سورة الجمعة : الاية 2).

المبحث الاول:

رعاية الخلفاء العباسيين للحركة التعليمية

اما بالنسبة للتعليم في العصر العباسي، فقد تطور تطورا كبيرا، ((سواء اكان ذلك في مناهجه واساليبه، ام في معاهد تدريسه)) (السرحان، 1961، صفحة 100)، حسب متطلبات الحضارة العربية آنذاك، ((فبظهور بني العباس ابتدأ عهد في بلاد العرب، وقد كان العرب حتى هذا الحين قد كرسوا انفسهم لحمل السلاح، الا ان نموذج الحكم الذي تبناه المنصور، قدم للعبقرية العربية منعطفا جديدا تسير فيه، فعني عناية بالغة بالادب والعلوم، واندفعوا في ذلك بنفس الروح الوثابة التي انكشفوا عنها في ساحات القتال)) (الحلي، 1982، صفحة 187).

ولهذا كانت الثقافة العربية الاسلامية، مزيجا من علوم المسلمين والعرب، ومن علوم الاقدمين، وقد انعكس كل ذلك على مرآة التربية والتعليم، فلم يكتف الناس باثار العرب ومثل الاسلام، بل ازداد طموحهم الى الاطلاع على

الثقافات الجديدة ومن ثم تعلمها، وذلك بفضل تشجيع الخلفاء العباسيين على نشر العلوم وشيوع ظاهرة طلب العلم، فمنذ قيام الدولة العباسية تطالعنا الكثير من الروايات التاريخية التي تؤكد هذا الامر فيذكر الخطيب البغدادي قائلا: ((ان سفيان بن حسين بن الحسن كان من اهل واسط فقدم بغداد وضمه المنصور الى المهدي يعلمه، وكان حسن الصوت بالقران، وكان ثقة وكان صاحب تفسير ايضا)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 149) واعتمد الرشيد المؤدبين المعروفين بالعلم والفضل مثل الكسائي(*) وخلف الاحمر(**) لتأديب الامين والمأمون (ياقوت الحموي، 1957، الصفحات 8–9)، اضافة الى تكريمه للعلماء فقد ((كان اذا حج احج معه مائة من الفقهاء وابنائهم، وكان يحب الفقه والفقهاء ويميل الى العلماء)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، الصفحات 6–7) تيمنا بقوله تعالى: ((يرفع الله الذين امنوا والذين اوتوا العلم درجات)) (سورة المجادلة : آية 11)، مما يدلل على ان الخلفاء العباسيين لم ينصب جل اهتمامهم بتعليم اولادهم وتكريم مؤدبيهم بل تعدى ذلك الى جميع ابناء امتهم بأجلال وتكريم علماء هذه الامة وفقهائهم مشجعين على نشر العلم والمعرفة ورسوخ قاعدتهما، ام الخليفة المأمون فقد لعب دورا كبيرا في هذا المجال: ((فقد طالب عقب انتصاره على ميخائيل الثالث بتسليمه جميع المخطوطات اليونانية الخاصة بالفلسفة، والتي لم تترجم الى العربية بعد تعويضا لخسارة الحرب)) (هونكة، د.ت، الصفحات 280–282)، فقد ادرك حاجة الانسان العربي للتزود بالعلم والثقافة لتطوير قابلياته الفكرية بشكل يوازي رصانة قابلياته القتالية في ساحات القتال، اضافة الى تشجيعه للمجالس العلمية التي يعقدها كبار العلماء:

فقد ذكر (الخطيب البغدادي): ((ان (سليمان بن حرب)(***) عقد مجلسا للعلم ببغداد فحزروا من حضر مجلسه اربعين الف رجل وكان مجلسه عند قصر المامون فبنى له شبه منبر، فصعد سليمان وحضر حوله جماعة من القواد عليهم السواد، والمامون فوق قصره يكتب ما يملي...)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، الصفحات 33–36).

(*) علي بن حمزة الكسائي، احد الائمة في القراءة والنحو والفقه واحد القراء السبعة المشهورين، كان من الكوفة واستوطن بغداد، فضمه الرشيد الى ولديه لتاديبهم.
انظر: ابن قتيبة، معارف ص445، ابن النديم، الفهرست، ص29، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص406، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص183، الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص399–ص401.

(**) ابو علي بن مبارك الملقب بالاحمر، انظر: ترجمته في الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص147، ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج13، ص807.

(***) سليمان بن حرب: ابو ايوب الازدي احد ائمة بغداد، قدم سليمان بغداد وحدث بها، وولي قضاء مكة، ذكره ابو حاتم الرازي فقال: ((...قرأ الفقه...وله نحو عشرة الاف حديث)).
انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج12، ص33.

وكان المتوكل يقرب رجال العلم ممن عرف بالحكمة والفصاحة، ومن العلماء الذين قربهم الخليفة (ذوالنون المصري)[****] فقد ((استدعاه في مجلسه، وكان الخليفة مولعا بفضله على العباد والزهاد...)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 393) ومما يؤكد عناية المتوكل بالعلم والعلماء ما روي عنه انه كان يجري امتحانا يشمل حتى الاطباء قبل تعيينهم لاختبار مدى كفاءتهم وصلاحيتهم لهذه المهنة (القفطي، 1903، صفحة 121)، ولا بد انه كان يجري نفس الاختبارات على مؤدبي اوؤده فقد اختار (ابن السكيت)[*] المتوفي سنة (243هـ-857م) مؤدبا لاولاده وكان من اكابر اهل اللغة (ابن الانباري، 1962، الصفحات 178-182) وقبل المتوكل كان الخليفة الواثق الذي ((اوكل الى المازني مهمة امتحان مؤدبي اولاده قائلا:

((... هاهنا قوما يختلفون الى اولادنا، فامتحنهم فمن كان منهم عالما ينتفع بعلمه الزمناه اياهم)) (الزبيدي، 1954، صفحة 98)، ولم يقتصر اهتمام الخلفاء بتربية اولادهم وتأديبهم وانما شمل ذلك تأديب وتربية البنات.

لقد اصبح جليا ان اولاد الخلفاء يتم تعليمهم في قصورهم اما عامة الناس فقد تركزت اماكن تعليمهم على المساجد والكتاتيب فضلا عن المجالس العلمية العامة والخاصة، والى جانب ذلك ظهرت بوادر احساس بالحاجة الى اماكن للتعليم غير المساجد وعدم الاكتفاء بها، ((فاتخذت بعض بيوت العلماء ودكاكين الوراقين لتدريس علوم الدين واللغة)) (ياقوت الحموي، 1957، صفحة 22)، وفي النصف الاول من القرن الرابع الهجري تبلورت فكرة ((انشاء المدارس)) ((بظهور دور مخصصة للتدريس منها مساكن للغرباء، واوقفت لها الاوقاف، وجعلت فيها خزانات للكتب ودرست فيها مختلف العلوم)) (السبكي، 1964).

([****]) ذو النون المصري: ابو الفيض، ويقال ثوبان بن ابراهيم وذو النون لقب، ويقال: الفيض بن ابراهيم توفي سنة خمس واربعون ومئتين.
انظر: الاصفهاني، حلية الاولياء، ج9، ص331-ص395، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج8، ص393جص397، اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص149.

([*]) انظر ترجمة في: الزبيدي: ابو بكر محمد بن الحسن (ت: 397هـ-1006م)، طبقات النحويين واللغوين، تحقيق: محمد ابو الفضل، القاهرة، 1954، ص221-ص223، النجاشي: احمد بن علي بن احمد بن العباس (ت:450هـ)، كتاب الرجال، تصحيح: جلال الدين الغروي، من منشورات مركز نشر كتاب جابخانه مصطفوي، بلا تاريخ، ص312-ص313، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص273-ص274، ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج20،ص50-ص52، ابن الاثير، الكامل، ج5، ص300، ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص346، السيوطي: بغية الوعاة، ج2، ص349، المزهر في علوم اللغة وانواعها، بعناية: محمد احمد جاد المولى واخرين، ج2، ط4، دار احياء الكتب العربية، 1958، ص412.

الا اننا يمكننا ان نرجح ان فكرة انشاء المداؤس قبل هذا التاريخ اذ يشير (المقريزي) قائلا: ((ولما اراد الخليفة المعتضد بالله... بناء قصره في الشماسية ببغداد استزاد في الذرع بعد ان فرغ من تقدير ما اراد فسئل عن ذلك، فذكر انه يريده ليبني فيه دورا ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجري عليهم الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما او صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه)) (تقي احمد، 1956، الصفحات 362-363).

فيتبين لنا من النص اعلاه ان العباسيين قد ابتنوا دورا مخصصة للدرس والتعليم وهيأوا لها وسائلها واجروا الارزاق لمن يريدها، الا انها لم تكن معروفة بمعناها الاصطلاحي باسم (المدارس).

وتؤكد اغلب المصادر التاريخية ((ان نيسابور كانت مهد هذه المعاهد التعليمية المسماة بالمدارس)) (ابن خلكان، 1969، صفحة 4) (السبكي، 1964، صفحة 177)، ((وانتقلت فكرتها واهدافها الى العراق ابان الحكم السلجوقي)) (الدوري، 1945، صفحة 247).

المبحث الثاني:

شروط ومؤهلات المؤدب والمعلم

ونظرا لأهمية دور المؤدب او المعلم في تقدم الحركة التعليمية وازدهارها فقد اشترط العرب الكثير من الصفات التي يجب ان يتحلى بها وهذا ما ينطبق على مؤدبي ومعلمي النساء، ومن ابرز هذه الصفات:

(1) اخلاص النية لله تعالى، وطلبا لمرضاته (الذهبي، 1937، صفحة 14).
(2) ان يكون مهذبا متدينا، متحلياً بالاخلاق النبيلة كاظما لغيظه حليما وقورا رفيقا بطلابه، متواضعا ومن علامات العالم: العلم والحلم والصمت (الجاحظ، 1986، صفحة 21).
(3) ان يتصف بقوة الشخصية، وان يكون كاظما لغيظه ولا يخلطه بالهزل (طاش كبري زادة، 1968، صفحة 48).

(4) ان يشهد له بعلمه افاضل اساتذته وكبار علماء عصره، وان لا يدعي علم ما يجهل، وان يجلس على منصة وهو مستقبل القبلة بوقار متربعا (طلس، 2021) (السهرودي، د.ت، صفحة 15).

(5) ان يكون حسن المظهر.. فاذا كانت هيئته رثة ينفر منه طلابه (العلموي، 1929، صفحة 23).

(6) ان يكون ملما بأسماء طلبته وحاضري دروسه وانسابهم ومواطنهم لتقوية الصلات بينه وبينهم (ابن جماعة، 1986، صفحة 60).

(7) ان يركز عنايته على الدروس المهمة فيقدم ما تكثر حاجتهم اليه على غيره، وان يكون مطلق الحرية بتوجيهه طلابه مراعيا للشريعة والتقاليد الاسلامية المرعية (الغزالي، 1967، صفحة 74).

فاخذ طلبة العلم يفضلون المعلمين المشهورين بالعلم والفضل ولا يأخذون العلم ولا يكتبون الا عن الثقات، اما فيما يخص اجور المؤدبين، اذ تمتع المؤدبون بمستوى معاشي جيد وذلك بفضل سخاء الخلفاء والاغنياء معهم عند تاديبهم لابنائهم، وتباينت هذه الاجور حسب كفاءة ذلك المؤدب ومدى ارتياح الخليفة لجدارته في عمله، ويعتبر هارون الرشيد من اسخى الخلفاء مع العلماء والمؤدبين، ((فقد اعطى راتبا الى معلمي اولاده الكسائي والاحمر)) (ياقوت الحموي، 1957، الصفحات 8-9)، اضافة الى المنح والهدايا التي كان الخليفة يغدق بها عليهم بين الحين والاخر فقد ((ارسل بعشرة الاف درهم للكسائي وهو قائم بتعليم المأمون وقد اخبره بحسن ادبه)) (ابن دحية، 1946، الصفحات 49-50).

والى جانب مؤدبي اولاد الخلفاء، فقد عني الخلفاء العباسيون بالعلماء ومنحوهم الجوائز واجريت لهم الارزاق لغرض تشجيعهم في المضي بمسيرة العلم والاستزادة منه، فقد ذكر (الخطيب البغدادي) قائلا:

((اشخص المتوكل الفقهاء والمحدثين... فقسمت بينهم الجوائز واجريت عليهم الارزاق، وامرهم المتوكل ان يجلسوا للناس وان يتحدثوا للناس وان يحدثوا بالاحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية...)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 67)

وقد امتنع البعض من المؤدبين عن اخذ اجورهم، وذلك لان نيتهم خالصة لله تعالى وبقصد الاجر والثواب لا غير، فقد روي عن عيسى بن يونس محدث الامين والمأمون الذي امر له الرشيد بعشرة الاف درهم فرفضها،

فجعلها الخليفة عشرين الف درهم فقال عيسى: ((... ولا شربة ماء...)) (الذهبي، 1937، صفحة 281)، كما رفض بعض العلماء الاجر على تعليم القران، وكانوا يعتبرون تعليمه واجبا وشرفا للمسلم الذي يتولاه (ابي داود، 1952، صفحة 99) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 207).

اما فيما يخص اجور المعلمين، فقد كانت زهيدة اذا ما قورنت بما يتقاضاه المؤدبين، اذ تتوقف على المستوى المعاشي للطالب ومدى قدرته على دفع اجوره، ((وتختلف اوقات دفع اجرة المعلم بحسب الاتفاق مع والد الصبي، فبعضهم يدفع بعد سنة من تعليمه وبعضهم يدفع شهريا او اسبوعيا، او ان البعض منهم يدفع مع تحصيل ولده اذا اكمل قراءة وكتابة القران او احد السور)) (ابن سحنون، 1972، صفحة 123) (القابسي، 1986، الصفحات 97-100). ويقرر (الخطيب البغدادي) اجور المعلمين في الكتاتيب بانه ((يتراوح بين دينارين وثلاثة في الشهر)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 332).

الى جانب ما يقدمه بعضهم من هدايا لمعلميهم ايام الاعياد والمناسبات، وهي طوعية، ((وينصح بان لا يجبر الطالب عليها)) (ابن سحنون، 1972، صفحة 96).

وقد منح بعض الخلفاء ارزاق للقراء ((وقدم هرون الرشيد الكوفة، فكتب قوما من القراء، وامر لكل واحد منهم بالفي درهم)) (ابن خلكان، 1969، صفحة 30).

وقد امتنع بعض المعلمين عن اخذ اجورهم فقد ذكر اسماعيل بن ابي خالد قال: ((كنا في كتاب القاسم ابن مخيمره فكان يعلمنا ولا يأخذ اجرا)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 266).

وبسبب قلة اجور المعلمين وشحة وضعهم الاقتصادي فقد حرص الكثيرين منهم ان يكونوا مؤدبين ليضمنوا لهم اجرا سخيا، فقد ورد انه ((كان يعقوب بن السكيت يؤدب مع ابيه بمدينة السلام في درب القنطرة صبيان العامة، حتى احتاج الى الكسب، فجعل يتعلم النحو)) (ابن خلكان، 1969، صفحة 441).

المبحث الثالث:

دور المرأة البغدادية بالتعليم وابرز مجالسها العلمية في العصر العباسي

وكان نصيب المرأة العباسية من حركة التعليم هذه يسيرة اذا ما قورنت بالرجل وربما يعود ذلك الى ما فسره الدكتور (احمد شلبي) الذي علل ظاهرة اعاقة النساء المسلمات من مجاراة الرجل في التعليم قائلا: ((انما هو الصعوبات التي كان يستهدف لها طلاب العلم، فقد كانت الرحلات والحرمان والتقشف شارات الطالب المسلم، وكان العرب يضعون المرأة في مكانة اسمى ومنزلة اعلى فلا يسمحون ان تتعرض لنصب العيش وشظف الحياة)) (احمد شلبي، 1987، صفحة 321)، ويضيف سببا اخر فيقول: ((ان الطريق الى تعليم المرأة كان عن طريق احد من ذويها او يقوم به معلم خاص وكلا هذين لا يتيسر للجمهرة العظمى من النساء)) (احمد شلبي، صفحة 325)، لا سيما وان التعليم الخاص كان مقتصرا على نساء اصحاب الجاه من الخلفاء والامراء وغيرهم من ميسوري الحال ((فقد كان يدعى مؤدبون خاصون لتعليم البنات في بيوت اهل الثراء وقصور الامراء)) (عبدالوهاب، 1972، صفحة 22).

وكان التعليم بالمكتب مع الاولاد مقتصرا على الجواري فقط وذلك بقصد رفع اثمانهن بتعليمهن الكتابة وتثقيفهن.

فقرر اغلب المؤرخين: ((ان العادة قد جرت على تعليم البنات داخل الدور)) (الاهواني، 1945، صفحة 162) (ابن سحنون، 1972، صفحة 117)، ويتم ذلك عن طريق احد اقاربهن او بمؤدب يدعى لهن، وقد علل الاهواني ذلك: ((للغيرة على الاخلاق وحفظ الدين)) (ابن سحنون، 1972، صفحة 117).

ويروي (القاضي عياض) عن سيرة القاضي الورع (عيسى بن مسكين)[*] في غير مدة قضائه: ((انه كان اذا اصبح قرا حزبه من القران، ثم جلس للطلبة، الى العصر،

([*]) عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح بن محمد الافريقي، كان من اهل الفقه والورع، متفننا في علوم الحديث والفقه واسماء الرجال وكناهم، وصنف فيها الكثير، ولاه الامير ابراهيم بن محمد القضاء فكانت ولايته ثمان سنين واحد عشر شهرا، وتوفي سنة (275هـ-888م).
انظر: البستي: ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت: 544هـ-1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق: احمد بكير محمود، ج3، بيروت، مطبعة فؤاد بيبان، ص212-ص228.

فاذا كان العصر، دعا بنته وبنات اخيه يعلمهن القران والعلم)) (عبدالوهاب، 1972، صفحة 22)، وكذلك علم (اسد بن الفرات)[*] فاتح صقلية ابنته اسماء الاسدية ويذكر (ابن سعد) رواية تاريخية تبين ان حضور النساء لمجالس العلم مع الرجال كان امرا مألوفا، لكن في المساجد فقط اذ يقول:

(ويروى ان (الربيع بن خثيم)[**] كان يزور علقمة في المسجد، فدخل المسجد نساء، فلم يدخل اليه الا بعد خروجهن)) (ابن سعد، 1958م، صفحة 128).

ويبدو لنا من خلال هذا النص ان مجلس تعليم النساء ربما يعقد في المساجد، وان هذا المجلس لا يجوز للرجال دخلوه ويشير الرازي الى رواية اخرى تؤكد تعليم المراة في المساجد فيقول:

((... انه كان يحضر مجلس الاشعري والجبائي في البصرة والنساء في المسجد)) (الرازي، 1938، صفحة 185) (غنيمة، 1953، صفحة 303)، ويؤكد (ابن الاخوة) ما جاء عند الاشعري قائلا حول حضور المرأة لمجالس الوعظ: ((... يجب ان يضرب بين النساء والرجال حائل يمنع النظر اليهن فان ذلك فطنة الفساد... واما اختيار المراة بالمسجد مستترة فلا تمنع منه...)) (القرشي، 1976، صفحة 274).

فحضور النساء في المساجد امر جائز ومالوف بقصد تعليمها من خلال حضورها لمجالس العلم والوعظ التي يعقدها العلماء في المساجد، ويبدو ان النساء يجلسن في مكان خاص بهن في المسجد ومنفصل عن الرجال تبعا للعادات العربية السائدة في ذلك الوقت من فرض الحجاب على النساء العربيات الحرائر.

([*]) ابو عبد الله: اسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم، عالم افريقية وقاضيها وصاحب الامامين ابو يوسف يعقوب ومالك بن انس فتفقه، وسمع منه اكثر من سبعمائة حديث، وتوفي سنة (240هـ-854م)، انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص465، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص248، العبر، ج2، ص268.

([**]) الربيع بن خثيم: ابو زيد الربيع بن خثيم الثوري الكوفي، ثقة عابد من كبار التابعين وفضلائهم، روى عن عبد الله بن مسعود وروي عنه الشعبي والثوري وغيرهما، وكان يعد من عقلاء الرجال، وتوفي سنة (165هـ)، انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص363، المدائني، التعازي والمراثي، ص130-131، ابن النديم، الفهرست، ص360، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج3، ص15، ص284.

اذا ما عرفنا ان المساجد هي المؤسسات التعليمية الاولى عند العرب منذ عهد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ((فقد القيت الدروس في الجوامع وعقد الاساتذة حلقات التعليم، وفي الاورقة اقيمت المناظرات والمجادلات العلمية)) (الحلي، 1982، صفحة 188).

فالمسجد اذن كان دار ثقافة لا تقتصر المباحث فيه على الامور الدينية، بل تتناول اللغة والاخبار والشعر.

ومما يؤكد مكانة التربية الاسلامية واهميتها عندما وصفها (وايلدز) بقوله: ((ان التربية في الاسلام تسعى الى البحث عن المعرفة وتطبيق الحقائق العلمية، فالاسلام اعطى قيمة للعلوم واكثر من ذلك تطبيقها)) (Lottich, p. 193).

ولا بد من الاشارة الى دور المرأة في مجال التربية والتعليم، اذ ((ساهمت في هذا الميدان ليس لكونها متعلمة فقط بل معلمة ايضا، فنجدهن يقمن بتعليم البنات في شتى حقول المعرفة والتربية والتهذيب والكلام، ويأتي في مقدمة ذلك تعليمهن القران الكريم ومبادئه والصلاة والقراءة والكتابة والشعر والحساب والنحو...)) (ابن بسام، 1968، صفحة 163) (الشيرازي، د.ت، صفحة 103).

وقد يكون لهن كتاتيب خاصة بهن تدرس المعلمات فيها، فيفيدنا (ابن بسام) بان: ((هناك معلمات للبنات ويوصي المحتسب بمنع البالغات منهن من الفواحش ومن اتخاذ الزينة.. وان الصبيان يوم الجمعة ليخرجوا الى صلاتهم، والبنات يوم الاحد)) (الشيرازي، د.ت، صفحة 109)، مما يؤكد ان للبنات كتاتيب خاصة بهن يعلمهن فيها بعض النسوة، فكانت مهنة التعليم من صنائع النساء، فقال ابن حزم الاندلسي (المتوفي سنة 456هـ) عند كلامه عن صنائع النساء: ((... الطبيبة والحجامة والمغنية والمعلمة)) (ابن حزم، 1975، صفحة 32).

ومن الشواهد على نشاط المرأة العربية ومساهمتها المباشرة في مجال التعليم، ما ترويه المصادر التاريخية عن الكثير من النساء اللواتي اشتهرن بالتدريس فمن تنطبق عليهن نفس شروط مؤدبي الصبيان ومعلميهم، ولهن مجالس يحضرها طلاب العلم والعلماء والفقهاء ومن ابرزهن:

و (زينب بنت سليمان الهاشمية)[*] المتوفاة سنة (218هـ-833م) والتي عرفت بالرصانة ورجاحة العقل فكانت مثلا تقتدى بها النساء العربيات ولا سيما نساء الخلفاء العباسيين: ((فقد امر المهدي زوجته الخيزران ان تلتزم زينب بنت سليمان وتقتبس من أدابها واخلاقها لانها امرأة كبيرة وادركت الاولين)).

ويشير الخطيب البغدادي الى دور (خديجة ام محمد)[*] التي حدثت سنة (226هـ-840م)، ويذكر ((بان العلماء كاوا يجلسون اليها للسماع)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 439)، ولا بد ان يكون للنساء في هذه المجالس العلمية تعلمهن فيها وتثقفهن.

ومنهن (عبدة بنت عبد الرحمن ام احمد الانصارية)[**]، ((التي كان لها مجالس معروفة للذكر والحديث في مربعة سعيد الخرسي في دراها)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 439)، وتطالعنا في هذا المجال (ستيتة امة الواحد بنت القاضي المحاملي)[***] المتوفاة سنة (377هـ-987م)، من ابرز محدثات عصرها، اشتهرت في علوم الفقه والقران، وكان لها علم ودراية في علم النحو والفرائض، وبرعت في مذهب الشافعي، حدثت وكانت تفتي مع العلماء وكتب عنها الحديث (ابن الجوزي، د.ت، صفحة 196)، وقد ((درست في دارها النساء المخدرات وقرأ عليها كثير من النساء، وكان في عصرها وقطرها لا تحتاج النساء الى سؤال تسأله لاحد من العلماء، لانها كفت الجميع ما يحتاجون اليه، وهو قراءة القران ومسائل الفقه والفرائض)) (العمري، 1966، صفحة 385)، فنلاحظ ان العالمة ستيتة لم تختص بعلم واحد دون اخر، بل تركت بصماتها في كثير من العلوم فقد حفظت القران الكريم وتعمقت في علومه هذا فضلا على اهتمامها باللغة العربية ودراسة علم النحو، وبرعت في علم الفقه حتى وصلت الى درجة من العلم والمعرفة اهليتها ان تصل الى مرحلة الافتاء فكانت ((من احفظ الناس للفقه على المذهب الشافعي)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 442).

([*]) للمزيد انظر: التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج2، ص379-ص380، كحالة، اعلام النساء، ج2، ص68.

([*]) سترد ترجمتها ضمن المحدثات.

([**]) انظر ترجمتها في: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص439-ص440.

([***]) ترجمتها في: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص442-ص443، ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص137، صفة الصفوة، ج2، ص296، الاسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص385.

وفي مجال العلوم الصرفة فقد كان لها اليد الطولى في علم الفرائض وهو العلم الذي يختص بقسمة التركة على فروض مقدرة في القران الكريم وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ((وان تلك الاركان المتعلقة بالفريضة لا يتم الوصول اليها الا وفق القواعد الحسابية)) (حاجي خليفة، 1941، صفحة 1244)، وقد سمي بعلم الفرائض لان ((الفرائض جمع فريضة ماخوذة من الفرض بمعنى الجزء، او لان الفرائض من الفرض والتقدير)) (المنشداوي، 1990، صفحة 217)، ولاهمية هذا العلم ((فان الله جل شانه قد قدره وحدد نصيب كل وارث)) (المقدسي ا.، 1989، صفحة مقدمة كتاب) من المسلمين فنلاحظ عمق ارتباط هذا العلم بالفقه من حيث صلته بتطبيقه للفروض المقدرة في القران والسنة النبوية الشريفة.

اما في مجال العلوم الرياضية وما يتعلق بها فقد ابدعت امة الواحد المحاملي في هذا المجال وعلى وجه الخصوص في علم الحساب، فقد تركت بصماتها وبشكل واضح لتؤكد عمق الدور الثقافي والحضاري للمراة العربية من خلال جهود عالمة الرياضيات العربية ستيتة في هذا المضمار، ولم تترك لنا شيء من مصنفاتها في هذا المجال، سوى ما اتحفنا به الدكتور (المنشداوي) في العثور على البعض من مسائلها الرياضية في المخطوطات الرياضية وحلولها (المقدسي، 1981، صفحة 381)، لتعكس لنا مدى تطور العقلية العربية النسوية وعمق الذكاء وقوة الملاحظة لتدلل على علو منزلة امة الواحد المحمالي وبنبوغها العلمي، وهذا منا نلاحظه في مسائل الاجارة (الفيروز ابادي، 1952، صفحة 262)، كما في المسالة التالية:

اجرة على حفر بئر طولها عشرة وعرضها عشرة وعمقها عشرة باربعين، نعمل حفرة طولها خمسة وعمقها وعرضها كذلك، كم يستحق؟ فقالت ستيتة: فنسبة تكسير المشروط وهو الف الى الاربعين كنسبة تكسير المعمول وهو مائة وخمسة عشرة الى ما يستحقه، فهو خمسة دراهم، وقد حلها الاستاذ المنشداوي بالطريقة الرياضية الحديثة فكانت النتيجة متطابقة:

وذلك:

حجم البئر الكلي	حجم الحفرة المعمولة
اجرة حفرة	اجرة حفرها
10×10×10	5×5×5
40	الاجرة المستحقة

———— = ——— = ——

———— = ——— = ——

∴ الاجرة المستحقة = —— = ——— = —— = —— = 5 =

$$\frac{5000}{1000} = \frac{125\times40}{1000}$$

فكان لمكانتها العلمية في المجتمع العربي حينها وسعة معارفها اثرا كبيرا ومثالا يحتذى به انعكس في نفوس ابناءها فخلفت اسرة علمية لعبت دورا مهما في مجال الثقافة والعلم، فابنها (ابي الحسين محمد بن احمد بن القاسم بن اسماعيل المحمالي)[*] المتوفى سنة (407هـ–1016م) وكان من القضاة المشهورين بعدله فضلا عن نبوغه العلمي.

اما حفيدها فهو الفقيه (ابو الحسن احمد بن محمد بن القاسم)[**]، الذي كان ضليعا في علم الفقه، حتى قال عنه شيخه الفقيه ابو حامد: ((... انه اليوم احفظ مني للفقه)) (الاسنوي، 1987، صفحة 283)، وله العديد من المصنفات.

مما يدلل على اصالة المراة العربية، وعمق دورها الحضاري لتساهم في تقدم العلوم العربية سواء على صعيد العلوم الانسانية او العلوم الصرفة. وتوفيت امة الواحد في شهر رمضان سنة (377هـ–987م) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 443). اما (امة السلام بنت القاضي ابي بكر احمد البغدادية الحنفية واسمها زينب)[*] والتي تكنى بـ (ام الفتح البغدادية) المتوفاة سنة (390هـ–999م) ((فقد سمعت علماء عصرها وحدث عنها الازهري والتنوخي)) (الخطيب البغدادي ا.، 1970، صفحة 443).

(*) انظر ترجمته في: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص296، البغدادي: اسماعيل باشا، هوية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المضفين، ج2، ط3، القاهرة، مطبعة السعادة، 1947، ص90.

(**) انظر ترجمته في: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص372، ابن الجوزي، النتظم، ج8، ص17، الذهبي، العبر، ج3، ص119، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص18، الحسيني، طبقات الشافعية، ص133.

(*) انظر ترجمتها في: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص443.

وكان لسيدات البلاط العباسي دورا بارزا في تشجيع العلوم وتعليمها فقد روي عن (زبيدة زوجة الرشيد) (ت: 216هـ-831م) التي كانت معروفة بالخير والافضال على اهل العلم)) (المصدر نفسه)، الى جانب عنايتها بقراءة القران، فقد ((كان لها مائة جارية يحفظن القران)) (ابن خلكان، 1969، صفحة 70)، وبرزت السيدة (عليه بنت المهدي) التي تميزت في قول الشعر ((ولها الكثير من الاشعار التي ابدعت بها)) (الاصفهاني، 1984، الصفحات 172-173).

ويمكن ان نستنتج مما تقدم بان الدافع الديني هو المؤشر والحافز الحقيقي للمراة العربية لطلب العلم ومن ثم تعليمه لتوسيع قوة ادراكهن وتثقيفهن بالثقافة العربية الاسلامية الى جانب المامهن بامور الحياة الاخرى، فكان ((الاسلام تاجا لنهضة علمية وادبية وسياسية واخلاقية واجتماعية وفلسفية في الحدود التي كان يستطيعها العرب لانه ليس بمقدور رجل فرد مثل النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) ان ينقل امة كاملة من العدم الى الموجود، ... دون ان تكون تلك الامة استعدت في اعماقها وفي ضمائرها وفي عقولها)) (زكي مبارك، د.ت، الصفحات 48-49).

وهنا لا بد من التاكيد ((بان القران الكريم هو اساس كل ما ظهر في تاريخ العرب والاسلام من نشاط ثقافي متمثلا بالحركات الفكرية واللغوية، فدراسة العلوم اللسانية وظهور العلوم الشرعية والحاجة الى العلوم الاخرى، ترجع الى ضرورة فهم القران، وتفسير احكامه، والدفاع عن مبادئه)) (الطيباوي، 1963، صفحة 35).

وهنا تبرز اهمية حركة التدوين والترجمة والتأليف، التي حفزت على نشر العلم والمعرفة وزيادة اقبال الناس والمرأة البغدادية على وجه الخصوص بالاطلاع لهذه العلوم والمساهمة الفعالة غفي ازدهارها ومن ثم تعلمها.

الخاتمة وابرز النتائج

1. حظيت المرأة البغدادية بنصيب جيد من التعليم اذا ما قورنت بفرصة الرجال في هذا المجال، فقد تلقت تعليمها داخل البيت من خلال افراد اسرتها وتعلم البعض الاخر منهن بالمساجد .
2. لقد تولت كثير منهن مهنة تعليم النساء وخاصة من اكتسبن صفة المدرسات من العالمات اللواتي منحن الاجازات العلمية من شيوخهن للتدريس وألقاء الدرس.
3. كانت الثقافة العربية الاسلامية مزيجاً من علوم المسلمين والعرب ، ومن علوم الاقدمين مما انعكس على مرآة التربية والتعليم اذ ازداد طموحهم للاطلاع على الثقافات الاخرى ومن ثم تعلمها بالعصر العباسي خصوصاً وهذا ما انعكس على تعليم النساء على وجه التحديد.
4. شجع الخلفاء العباسيين على نشر العلوم وشيوع ظاهرة طلب العلم والترجمة وفسح المجال لحلقات العلم والدرس وان كانت تحت رقابة الدولة ممثلة بخليفتها.
5. لم يكتفي الخلفاء العباسيين على تعين ابنائهم وتكريم مؤدبيهم ، بل تعداه لتكريم علماء الامة وفقهائها والحث على نشر دائرة حلقاتهم العلمية في بغداد، ومناظراتهم وتخصيص الهبات والهدايا للكثير منهم.

6. لنظراً لاهمية وظيفة المؤدب او المعلم فقد اشترط فيه العديد من المؤهلات لتقدم الحركة التربوية والعلمية بالعصر العباسي. وهذه الشروط والمؤهلات تنطبق ايضاً على مؤدبي ومعلمي النساء مما زاد اهتمام النساء البغداديات – على وجه التحديد – بالعلم والتعلم والحرص على حضور حلقات ومجالس التعليم الخاصة بالنساء سواءً بالبيوت او في المساجد.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

Lottich. (n.d.). *The foundations of Education, Holt and Winston.* London.

ابن الهائم المقدسي. (1981). *المعونة في علم الحساب الهوائي.* مركز احياء التراث العربي.

ابو البركات كمال الدين ابن الانباري. (1962). *نزهة الالباء في طبقات الانباء.* ستكهولم: دار الفكر العربي.

ابو الحسين علي بن يعقوب (ت 817ه) الفيروز ابادي. (1952). *قاموس المحيط.* بيروت: داغر الجيل.

ابو الخطاب عمر ابن ابي العلي الكلبي 0 ت 633ه) ابن دحية. (1946). *النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس.* بغداد: مطبعة المعارف.

ابو العباس شمس الدين (ت 681ه) ابن خلكان. (1969). *وفيات الاعيان.* بيروت: دار الثقافة.

ابو الفرج علي بن الحسين (ت 284ه) الاصفهاني. (1984). *الانماء الشواعر.* بيروت: مطبعة دار النضال.

ابو بكر احمد بن علي (ت 463ه) الخطيب البغدادي. (1970). *تاريخ بغداد ومدينة السلام.* بيروت: دار الكتاب العربي.

ابو بكر محمد بن الحسين (ت 379ه) الزبيدي. (1954). *طبقات النحويين واللغويين.* مصر: دار المعارف- القاهرة.

ابو حامد محمد ابن محمد (ت 505ه) الغزالي. (1967). *احياء علوم الدين.* القاهرة: مؤسسة الحلبي واولاده.

ابو حيان علي بن محمد (ت 414ه) التوحيدي. (د.ت). *البصائر والذخائر.* دمشق: مطبعة الانشاء.

ابو عبدالله شمس الدين (ت 748ه) الذهبي. (1937). *الكبائر.* بغداد: مطبعة المصطفى محمود.

ابو عثمان عمرو ابن بحر (ت 255ه) الجاحظ. (1986). *تهذيب الاخلاق*. دمشق: الطبعة البطريكية الارثدوسكية.

ابو محمد علي بن احم الاندلسي (ت 456ه) ابن حزم. (1975). *طوق الحمامة في الالفة والالاف*. القاهرة: مطبعة المعارف.

احمد بن مصطفى (ت 962ه) طاش كبري زادة. (1968). *مفتاح السعادة ومصباح السيادة*. مصر: دار الكتب الحديثة.

احمد حقي الحلي. (1982). *التربية والتعليم في الحضارة العربية الاسلامية*. بغداد: مجلة دراسات عربية اسلامية ، العدد الثاني ، السنة الثانية.

احمد بن محمد بن الهائم (ت 815ه/ 1412م) المقدسي. (1989). *ملجأ الاضطراب في الفرائض* . الموصل: مطبعة التعليم العالي.

احمد شلبي. (1987). *تاريخ التربية الاسلامية*. القاهرة - مصر: مكتبة النهضة المصرية.

احمد فؤاد الاهواني. (1945). *التربية غفي الاسلام او التعليم في رأي القابسي*. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الاماء الشواعر. (1984). *الاماء الضواعر*. بيروت: مطبعة دار النضال.

الامام ابو الحسين علي (ت 402ه) القابسي. (1986). *الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين*. تونس: شركة التونسية للتوزيع.

الامام ابي عبدالله محمد (ت 256ه) ابن سحنون. (1972). *اداب المعلمين*. تونس: مطبعة المنار.

الامام سليمان ابن الاشعث (ت 275ه) ابي داود. (1952). *سنن ابي داود*. القاهرة: مطبعة الباب الحلبي.

تقي احمد بن علي (ت 845ه) المقريزي. (1956). *الخطط المقريزية*. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف.

تاج الدين عبدالوهاب السبكي. (1964). *طبقات الشافعية الكبرى*. القاهرة: مطبعة مدبولي.

جمال الدي ابو الفرج عبدالرحمن (ت 597ه) ابن الجوزي. (د.ت). *صفة الصفوة*. الهند: دار المعارف العثمانية.

جمال الدي ابي الحسن (646ه) القفطي. (1903). *تاريخ الحكماء*. بغداد: مكتبة المثنى.

جمال الدين عبدالرحيم (ت 772ه) الاسنوي. (1987). *طبقات الشافعي*. بيروت: دار الكتب العلمية.

حسن حسني عبدالوهاب. (1972). *من مقدمة كتاب اداب المعلمين لابن سحنون*. تونس: مطبعة المنار.

خضير عباس المنشداوي. (1990). *تاريخ علم الرياضيات عند العرب*. بغداد: رسالة دكتوراه على الالة الطابعة ، جامعة بغداد - كلية الآداب.

زكي مبارك. (د.ت). *النثر الفني في القرن الرابع الهجري*. مصر: مطبعة السعادة.

زيغريد هونكة. (د.ت). *شمس العرب تسطع على الغرب*. القاهرة: دار النهضة.

شهاب الدين ابو عبدالله البغدادي(ت 626ه) ياقوت الحموي. (1957). *معجم الادباء*. بيروت: دار صادر.

عبد اللطيف الطيباوي. (1963). *محاضرات في تاريخ العرب والاسلام*. بيروت: مطبعة دار الاندلس.

عبدالباسط ابن موسى (ت: 981ه) العلموي. (1929). *المعيد في ادب المفيد والمستفيد*. دمشق: مطبعة الترقي.

عبدالرحمن بن نصر (ت: 589ه/ 1193م) الشيرازي. (د.ت). *نهاية الرتبة في طلب الحسبة*. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

عبدالرحيم غنيمة. (1953). *تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى*. تطوان: دار الطباعة المغربية.

عبدالعزيز الدوري. (1945). *دراسات في العصور العباسية المتأخرة*. بغداد: مطبعة السريان.

محمد بن ابراهيم بن سعدالله (ت 733ه) ابن جماعة. (1986). *تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعليم*. بيروت: دار أقرأ للنشر والتوزيع والطباعة.

محمد بن احمد المحتسب (ت 315ه) ابن بسام. (1968). *نهاية الرتبة في طلب الحسبة*. بغداد: مطبعة المعارف.

محمد اسعد طلس. (2021). *التربية والتعليم بالاسلام*. مصر: وكالة الصحافة العربية.

محمد بن ابي بكر عبد القادر (ت 666ه) الرازي. (1938). *التفسير الكبير*. مصر.

محمد بن منيع (ت 230ه) ابن سعد. (1958م). *الطبقات الكبرى*. بيروت: دار صادر.

محمد بن محمد احمد المعروف (ت 729ه/ 1329م) القرشي. (1976). *معالم القربة في احكام الحسبة*. مصر: مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محي هلال السرحان. (1961). *تاريخ التعليم في العصر العباسي*. بغداد: مجلد المعلم الجديد.

مصطفى ابن عبدالله (ت 1067ه) حاجي خليفة. (1941). *كشف الظنون*. اسطنبول: وكالة المعارف التركية.

ياسين ابن خير الله العمري. (1966). *مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء*. بغداد: دار الجمهورية.

يحيى بن حبش ابن اميرك (ت 587ه) السهرودي. (د.ت). *منهاج المتعلم*. بغداد: مخطوطة محفوظة في متحب العراقي برقم 1515.